

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

قضية شرف !!

لمراسل « الاداب » محيي الدين محمد

* * *

تاريخنا الثقافي في الاقليم الجنوبي يستند الى ارضية مائة للغة . فاذا شئنا ان نشيد عمارة ضخمة عالية فاننا نهتم اول ما نهتم بالاساس ولا نلقي بالا الى الشكل وسعة النواذ الا بعد ان نطمئن الى متانة الاساس وصلابته . والادب كالعناصر الحديثة . ادب بدون اساس معناه التحول الى الماضي او الى السرقة . وذلك ما وقع فيه الجيل الثاني من ادبائنا الكبار . فنحن نقول ان طه حسين اديب كبير لانه كتب لنا (الايام) و (دعاء الكروان) و (الفتنة الكبرى) و (حديث الاربعة) الخ الخ .. ونقول عن العقاد كذلك لانه كتب لنا (سارة) و (الله) و (ابن سينا) وكذلك عن المازني وهيكل واخرين ..

والواقع ان كل هؤلاء دارسون للادب ، ليسوا نقادا ولا مبدعين ، وليست هذه المؤلفات غير مقالات ممتعة لانفتينا عما وويه الفن الخالق كالرواية والمسرحية والشعر ..

اذا وضعنا في اعتبارنا كاتبنا كجان بول سارتر ، وجدنا خصوصيته تمتد اولا الى العمل الخالق ، ثم بعد ذلك الى المقالات ، وليس غريبا ان اقل كتبه اهمية هو (وقائع) : مجموعة مقالات كتبت في مناسبات متفرقة .. وكذلك كامو وجيد ومالرو ، وبقية المدرسة الفرنسية والانكليزية والامريكية في الفن .

صحيح ان ملامح باكملها في الاداب الغربية لانكتب سوى المقالات النقدية ، ولكن اولئك نقاد متخصصون ، لا يلمسون حدودا خارج اختصاصهم اللهم الا اذا كان ذلك في بداية حياتهم الادبية كليونيل تريلنغ وادمون ويلسن ومود بودكسين ..

نحن نقول عن طه حسين مثلا انه ادب ، ولكننا نعجز عن استخلاص اثر فني ، بالمعنى الحقيقي للعبارة ، ولن يسعنا الا الاقرار بانه دارس كبير للادب ، وكذلك العقاد والمازني ..

هذه هي القضية الاولى اذن : ادبنا يستند الى دراسات عن الادب ، ولا يستند الى عملية الخلق الفني .. وبالنسبة للجيل الثاني الذي تحول الى الصحافة ، كانت الحركة هي دمج الاجتماع والتكاثف والتفاهل في الادب ، كالسباعي وعبد القدوس ويوسف ادريس ، هذا الشاب الذي عرفنا اخلاصه ، ويقوم الان بتصحيح نظرتنا هذه ، فيكتب هـذرا (خيف الظل ..) في جريدة الجمهورية لتسليية القارئ العربي ، ومسح معركة وفض صراعاته ..

ولكن السكنى في الزمالك ، وشراء عربية جديدة ، خير بالطبع من مشاكل الالتزام والشرف ..

الدارسون للادب يفترض فيهم ان يكونوا ، لانقادا ، ولا مبدعين ، فطبيعة اختصاصهم تجعلهم مؤرخين اكثر منهم ادباء . وكلنا يعرف الخدمات التي قدمها طه حسين ومندور لتاريخ الادب الجاهلي ، وملامح

الادب المصري في بداية القرن .

الارض الادبية المصرية لا تحتاج تحويلا بقدر ما تحتاج تقليبا وتعريضا للشمس ، لتخليصها من الجراثيم والاعشاب الضارة . واول الجراثيم هو الصحافة : فالشباب الواعد كثيرون ، ولكن الصحافة تمتص اكثرهم وعودا ، واقواهم ثقافة واشدهم اخلاصا ، لنحول بعضهم وتخرس بعضهم وتعري بعضهم بالخيانة .. تحول الى الصحافة رجاء النقاش ، صلاح عبد الصبور ، سليمان فياض ، احمد عبد المعطي حجازي ، فاروق منيب ، جيلى عبد الرحمن ..

والكتاب الذين كان يرجى منه الخير ، من جيل السابقين على هؤلاء كاحمد رشدي صالح ، ويوسف ادريس ، قد انتهوا كية ، لان الصحيفة تتطلب منه اخلاصا شاملا ، فاما التحول الى مرضاة اكل العيش واما الاستغناء عن المرتب المغربي مع الكتابة في صف الشرف ، والحربة لا تتدخل لفرض مسألة الاختيار ، فهناك شيء اكبر من ذلك هو الظروف الشخصية التي تتدخل لفرض جواب يعبد عن امكانية الموت جوعا ..!

الارض الادبية في مصر تحتاج الى اساس . والاساس يحتاج ان ندقق النظر باختيار ما ينفع لنا وما يهنا في هذه اللحظة التي نمر بها . في تاريخ الادب العالمية كلها ، لابد ان يقوم الاساس على الاعمال الابداعية ، وتنشأ اذن القضية الثانية ، وهي قضية الوعي العام : ان الذين يقرأون الرواية ، يتحولون بتأثير التظليل ، وبتأثير الغريزة الى احسان عبد القدوس ويوسف السباعي ، لانهما لا يتكلفان جهدا فيما يكتبان . او يتكلفان جهدا معينا . فقد اثر احدهما ان يكون تاجرا ماکرا ، يعرف كيف يدبر مجلتيه عن طريق الجنس ، ويدبر لمجموعته القصصية التي يقدمها الوسائل الترفيحية التي تفوح منها رائحة السربر والاهات والخذات العطرة والاباجورات وخلافه .. لانه عرف تماما ، ان الشباب المصري الذي غابت عنه مؤقتا مقدرات البعث والوعي ، سيتحول بالفطرة الى الجنس ، لان الطاقات المركزة فيه تلج في الخروج .. والهرب الى الاحلام هو احد الحلول الموقفة للاشعور .. فاذن : ان المسألة علمية للغاية .. فلنحول الشباب الى الجنس ..

ولان الوعي عاطل ، تتأمر بعض دور النشر مع بعض الجرائد والمجلات على تعطيله كلية . ولتذكر حادثة معينة ، جريدة كبرى تتصل باحدى السفارات المشهورة بمكانها المجرمة ، لتمويلها . ودار النشر هذه تشرف عليها هيئة صهيونية مكملة ، ومجهزة باحدث الوسائل والدراسات عن كيفية تميع الوعي وضغط القوى الوطنية وحصرها ، وبالطبع لا يعقل ان تصدر الجريدة وفي صدرها هذا المانشيت « القومية العربية جريمة فظيعة ! » لا يمكنها ان تفعل ذلك . واذن فهي تتجه الى الباطن ، فتتخذ الخبث والمكر والمحاورة والمداورة وسائل مقاومة هذه الحياة العظيمة التي نحياها .

اهم - هناك في الولايات الامريكية المتحدة - يجوبنا كل هذا الحب؟ الى درجة انهم يهدوننا اموال دافع الضرائب الامريكي بدون مقابل ؟ وهل كان هذا الدافع للضرائب يظل ساكنا على تسرب المال الذي يدفعه ، ان لم يكن واثقا ان لجنة الشؤون الخارجية في البنتاجون ، تصرف هذه الاموال في وجوهها تماما ؟

النشاط الثقافي في الوطن العربي

اتقدم باقتراحي :

اولا : اقترح ان يصنع صندوق من الخشب ، ثم يكتب فوقه « صندوق الضمائر » ، يمر به اديب شاب ، على الابداء الشباب الاخرين ، ليمزق كل واحد جزءا من صدره ، مستخرجا ضميره وقاذفا به الى الصندوق . وفي النهاية تحرق هذه الضمائر في ميدان عام ... وبهذه الطريقة يتمكن الابداء الشباب من مواصلة حياتهم المناقضة التي يحيونها الان ، غير راضين عنها ، - يتمكنون بعد ذلك من ان يعيشوها بدون خجل ..
ثانيا : واما ... ان يتكلفوا - بينهم وبين انفسهم - برفض الوعي والتقدم ، ومصالحة الاشرف واللاحقية ، على امل ان يجر هذا التكلف الى الايمان به ، والعادة كما هو معروف تخلق الايمان ..

ثالثا : ان يرفضوا الزيف وان يتخلوا عن الجبن وان يختاروا الشرف مع امكانية الموت جوعا ..

هذه اقتراحتي ، وانا اعلم ان في ضمير كل منهم شيئا يتحرك ويطلق ويوشك ان يفك سلسله .. ولاني اعلم ذلك واحزر جوابهم مقدما ، ارفض ان اطرح حلا رابعا ، كان سيوقف الى الابد قضية تناقضهم ، وهو الانتحار ...

القاهرة محيي الدين محمد

صدر حديثا

قرارة الموجة

شعر نازك الملائكة

وحدتي مع الايام

شعر - فدوى طوفان

وجدتها

شعر - فدوى طوفان

الحب والنفس

قصص - عبد السلام العجياي

العودة من النبع الحالم

شعر - سلمى الخضراء الجيوسي

منشورات دار الاداب - بيروت

التأمر بالداخل موجود في صورة رؤساء التحرر الذين لا يسمحون بظهور الفكر الواعي القوي ، والكتاب الذين يحولون المشاكل الى الجنس ، والتأمر موجود في صورة هذه الاعانات الفكرية التي ترجمت لنا امرسون ولم تترجم ميار او دوس بايموس ، وترجمت لكتاب واحد هو شتاينبك كتابا اصدره بعد تراجمه الفكري ، وهو « المهر الاحمر » ولم تترجم له « عنافيد الفصب » .. انها خطة مدروسة ومنظمة ، اساسها المال ، لتحطيم مقدرات الامة العربية جميعا ..

ثالث القضايا الهامة ، هو انعدام الخط الفكري لدى كتابنا الشباب ، لان تأثير السابقين عليهم ، ثبتهم في هذه الميومة ، فلا العقاد كان يملك خطا فكريا معينا ، ولا طه حسين .. لانهما كانا يصدران احيانا عن نقد ادبي ، وحيانا عن بعض الكتابات والدراسات التاريخية .. كان الادب عند اولئك الدارسين تسلية ولعبا لا غاية له سوى سرد بعض الذكريات او الفواجع الاجتماعية ، واولا ، لان الفهم الحديث للادب ، هو فهم عصري للغاية ، فهم معذورون من هذه الناحية ، وثانيا لانهم كما قلنا ليسوا ابداعا اصلا .. فما حاجتهم الى خط فكري مرسوم ؟

ظهر الجيل الثاني ما بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولم يستطع ان يلعب دورا كبيرا ، لان تاريخية الفترة التي كان يمر بها وعاليته اوصلته الى القنوط . واثناء الحرب العالمية الثانية ظهر هذا الجيل الشباب الذي وجد ارضا مقلوبة وفهما مقلوبا للادب وانعداما كليا للتيارات وللمؤلفات الكلاسيكية الاساسية ، والمؤلفات النقدية ، واذن : كان امامه طريقان ، اما ان يتحول الى سرقة الغرب والنقل منه كما فعل كثير من كتابنا ، واما ان يتحولوا الى التنقيب في التراث . وبالطبع كان التيار الثاني نقديا ، ولم يكن ابداعيا ، وكانت النتائج التي وصل اليها هؤلاء الدارسون سريعة للغاية ، بل ان بعضها كان مجهودا غير معمق ، كمؤلف فاروق خورشيد عن « الرواية العربية » ، الذي حاول فيه - كما دلت العقاد خطا باسبوعية الحضارة العربية على حضارة اليونان - ان يدلل على اسبقيتنا في ميدان الرواية ، في حين ان الرواية في الغرب لم تظهر الا في فترة متأخرة جدا ، هذا اذا فهمنا الرواية على انها عمل بعيد كل البعد عن المقامة والحكاية ، وآثر بعض كتاب هذا الجيل ان يسكتوا لان الوضع كان سياسيا شديدا الوطاة عليهم ، وآثر بعضهم الصمت لان ظروفنا شخصية مجهولة تفهمهم ، كرمسيس يونان ويوسف الشاروني وعبد المحسن طه وعبد الجليل حسن ..
النتيجة : انعدام الارضية + انعدام الوعي + الظروف العامة للابداء الشباب ، يوصل الى المحنة التي يحسن تسميتها بـ « قضية الشرف » . كثيرون من الابداء الشباب يقولون ، متخذين اماكنهم وراء مكاتبهم ، : انهم لا يسمحون لنا بالكتابة في المجلة التي نعمل بها ، لان خطها الفكري هو كذا ، او لانها لا تملك خطا فكريا او .. او ..

فلماذا تعملون اذن في هذه المجلة التي لا تسمح لكم بالكتابة والابداع؟ لماذا تقدمون خدماتكم الى رجال يعطون فيكم حسك بالشرف ؟ . لماذا تنقادون الى عمل يعزلكم عن اخلاقيتكم ؟!

والجواب هو : اكل العيش : انني لا اريد ان اموت جوعا .. ولئلا يحدث نوع من الرضى عن هذا الجواب الملقق الزائف القبيح ،